كذلك اذا دخلتم عرسا وكنتم حزانى تبدل حزنكم بسرور وطرب فاكتفوا الآن بهذه وسأزيدكم غداً بيانا فقد أزف وقت الفراق فانعموا مساء وموعدنا هنا غدا كما كان بالأمس واليوم فشكروا له أيضاحاته وتقدم منه فريد ووضع في يده بعض الشيء فشكر وحيا وقام

الفصل السابع

إن سنن الطبيعة هي واحدة في الممالك الثلاث

تناول الشيخ عصاه وقام متوكئا عليها وولى وجهه هذه الليلة شطر المدينة ولما ابتعد قليلا قال نجيب لفريدة عسى أن لا تكوني حاقدة علي وعلى فريد لدخولك مدرستنا فاذا كان ثمة حقد فيجب أن يكون علي فقط لأن فريدا لم يفعل الا ما أوحيت به فنظرت اليه فريده فرأته باسما فعلمت أنه انما أراد المداعبة والمزاح ولا غرو فانه كان يعرف عن فريدة رغبتها بالبحث وشغفها بمثل هذه المواضيع وتفضيلها لها على أي شيء آخر فأجابته قائلة قبل أن أجيبك قل لي كم الساعة الآن فنظر الاثنان الى ساعتيهما وكانت الساعة

التاسعة فقالت هيا بنا ولنسرع لأن وقت العشاء قد حان والجميع في البيت ينتظرون قدومنا فلنذهب اذا شئتما ولا داعي للالحاح فنأكل عندنا سويا وهكذا يمكننا تمضية بقية السهرة في متابعة دروسنا . اليس كذلك؟ قالت هذا ونظرت الى نجيب ثم قالت ومن هنا تعلم أذا كنت حاقدة او مسرورة أما اذا كنت لاتريد ألا أن تسمع كلمة الشكر مني فأني أهديكها لا بل أهديكهما اياها بكل أغتباط وسرور ضحك الثلاثة لهذا وقبلا صاحبانا الدعوة فركبوا أحدى العربات تقلهم الى منزل فريدة فجلست فريدة في الوسط على يمين فريد وجلس نجيب بجانبها يرقبها بكل اهتمام ليرى مايبدو على وجهها ووجه فريد وهما بقرب بعضهما من التأثيرات بدون أن ينتبها اليه لأنهما كانا غارقين كل منهما في ما كان يفكر فيه

سارت العربة مسرعة وهم على هذه الحال حتى وصلت الى أول الجسر فتنبه فريد حينئذ ونظر إلى الماء وكانت الحالة كما كانت يوم النزهة من بضعة أيام فتذكرها ونظر إلى فريدة ونظر الى نجيب وتبسم وقال سبحان من يغير ولا يتغير فأجابته فريدة لفورها وكانت كأنها أفاقت من سباتها صدقت

سبحانه على كل حال ثم صمتت قليلا واحمرت وجنتاها لأنها ذكرت وجودها مع ذلك الرجل يوم رآها فريد ولم تره ولكنها لم تلبث حتى عبست وبانت عليها ملامح الجد والعزم وقالت قل لي يافريد أين كنت يوم الخميس في مثل هذه الساعة قالت هذا بلهجة الآمر المستعلم فحار فريد في أمره لهذا السؤال ونظر إلى نجيب مستفهما مستنجدا وسكت فلحظت فريدة عليه حيرته وارتباكه فقالت لماذا لاتجيب على سؤالي فأن الأمر له علاقة بما سمعنا الآن من الايضاح فقل لي ولا تتردد حتى ولو كان هناك مايدعو الى الكتمان والمجاملة أو الخجل فنظر فريد الى نجيب ثانية وقال مارأيك يانجيب في سؤال فريدة فأجابه نجيب وقال تكلم ياأخي فالحقيقة يجب أن تقال ولو جرحت وفريدة أعقل من أن تجرحها الحقيقة ونحن الآن هنا نتكلم بالروح والروح ليس لها جنس فهي لاذكر ولا أنثى فقال فريد اذن فلنترك المجاملة والخجل :لقد كنا هنا يا فريده لا بل كنا في أحد القوارب نتنزه في النيل نروح ونجيء أمام هذا المكان فاحمر وجه فريده أولا ولكنها تملكت نفسها وتبسمت وقالت أنت ومن ؟ قال

نحن الاثنان نجيب وأنا فقالت أذن لقد رأيتماني ؟ فقال نعم لقد رأيناك لا بل رأينا كما فقالت كفى لقد فهمت الآن سر انزعاجي تلك الليلة وهذا ما كنت أريد معرفته لقد صدق الشيخ فيما قال فان تلك الليلة قد التقطت جميع ماوجهت الي من التأثير لان انزعاجي كان لدرجة قصوى حتى غيرني من حال الى حال فثق بأن جميع حبي الماضي لك قد تحول الى صداقة خالصة لقد خنقت الصداقة الحب فنمت به وتقوت بما تغذت من أشلائه كما يتقوى الانسان الضعيف بما يأكل من لحم حمامة أو حمل فقال نجيب وهذا دليل على تجانسكما مادة وروحا ولولا ذلك لانقلب الحب الى بغض شديد فقال لان الضعيف اذا أكل لحم الاقوى بدل الحمامة والحمل مات بدلا من أن يتقوى

وصلت العربة الى منزل فريدة فنزل الثلاثة ودخلوا البيت فوجدوا الجميع على وشك تناول الطعام فسار الكل الى قاعة الأكل فتمشوا وتسامروا قليلا ثم خرجوا الى الجنينة طلبا للنزهة يتمشون بين زهورها وأشجارها كل مع من طابت له مسامرته من الحاضرين أما فريدة ونجيب

وفريد فقد انفردوا لوحدهم يتابعون حديثهم وفيما هم كذلك ابتعدت فريدة قليلا وأسرعت الى مكان مخصوص في الحديقة حيث كانت منذ مدة زرعت زهرة نادرة كان أحد أصدقائها أهداها اليها ثم عادت كئيبة لأن تلك الزهرة كانت قد ذبلت وتلاشت بما نبت حولها من الأعشاب الأخرى شعرت فريدة بعد ذلك بألم في رأسها فاستأذنت من صاحبيها ودخلت حجرة نومها بعد أن اتفقت معهما على المقابلة لميعاد الغد كان دخول فريدة حجرتها كتنبيه للقوم للذهاب فانفرط عقد الحاضرين وذهب نجيب وفريد مع من ذهب كل منهما الى منزله حيث أن الليل كان قد انتصف

في اليوم التالي اجتمع اصحابنا الثلاثة وساروا للقاء الشيخ فمروا في طريقهم وسط الحديقة الكبيرة وكان الناس ذرافات يروحون ويجيئون في مماشيها وقد جلس بعضهم على الخضرة تحت ظل الأشجار وبعضهم نام في الشمس وكانت الطيور تحوم هنا وهناك فوق الناس تحط تارة على الارض وطورا على الاشجار فتلتقط شيئا ثم ترتفع وكان بعضها يتنقل من جهة الى أخرى ومنقاره بالأرض

يبحث عن الديدان ليقتات بها وكان البستانيون منهمكين كل في عمله في خدمة الحديقة فمنهم من كان يقتلع الأعشاب من بين الزهور ومنهم من كان يروي الأرض ومنهم من كان يحرثها وكان البعض يسمد بعض القطع لأعدادها للزرع وبعضهم يلقي البذور أو ينقل النبت من مكان الى آخر

مشى أصحابنا وسط هذا كله وهم صامتون يفكرون فيما يرون ولكنهم لم يلبثوا حتى استوقف انظارهم بعض المشاهد أذ كان أحد البستانيين قد تسلق نخلة شامخة وكان بيده شيء أخذ ينفضه على ما كان عليها من الحمل فقال فريد لنجيب أنظر يا أخي الى جشع الأنسان فأنه يريد أن يحصر كل شيء فيه ويحرم غيره حتى من قوته فها أننا نراه وقد ركب الأخطار وتسلق هذه النخلة العالية يرمي على حملها من المواد ما تعافه بقية الطيور والحيوانات ليحفظه بجملته لنفسه ويجنيه كاملا حين نضجه فأجابه نجيب وقال اني وإن كنت أوافقك تمام الموافقة على ما يختص بالجشع الانساني الا ان ما يفعله هذا الرجل الآن فوق النخلة ليس

هو ما توهمت بل انه انما يقوم بعملية التلقيح فان ما تراه في يده ينفضه عليها ما هو الاجنبي نخله ذكر جاء به هذه النخلة الأنثى ليثبت وينمي وينضج به ما عليها من الحمل فتعجب فريد من هذا وقالت فريده هل يوجد ايضاً بين النبات ذكر وانثى سبحان الله إن هذا لعجيب غريب فأجابها صوت من ورائها وقال نعم ولكن ليس في الطبيعة شيء غريب بل ان الغرابة تظهر لمن لا ينظر الا للظواهر فقط فالتفت الجميع الى الوراء فرأوا الشيخ واقفا خلفهم وقد كان في الحديقة حينما دخلوها فرآهم ذاهبين الى المقعد المعلوم فتبعهم دون أن يروه ولم يشأ بادىء بدء أن ينبههم الى وجوده لئلا يعكر عليهم صفوهم ويضايقهم بوجوده معهم فسار وراءهم كظلهم حتى وقفوا تجاه النخلة وكان من حديثهم ما كان ففرحوا بهذه المباغتة وحيوه بكل أحترام فرد عليهم التحية باحسن منها واعتذر لهم عن مقاطعتهم الحديث ثم تابعوا السير جميعا وتابع هو الكلام قائلا .

أعلموا يا أولادي أن سنن الطبيعة هي واحدة في

جميع أجزاء الكون كما هي واحدة في الممالك الثلاث وهي تسير على نظام أثبت من الثبات وتنفذ بدقة تامة ولو اختلف شكل التنفيذ لأن الأصل واحد فالسلبي والايجابي هما في كل شيء يتجاذبان بما تفرع عنهما من الوحدات التي لا تعد ولا تحصى فيتأثران بفروعهما دون ان يختلا بالمجموع وعلى قدر التأثير تتغير الظواهر فياخذ هذا من ذاك وذاك من هذا فيتغير الآخذ والمأخوذ منه ويتحول هذا من شكل الى أشكال أو من وحدة الى وحدات وذاك من أشكال الى شكل او من وحدات الى وحدة للناظر ولكن الأصل باق لا يتغير مثل الماء سائلا ومتجمدا وسحابا

يجامع الحيوان انثاه فيتولد منهما حيوان فيعطيان ويأخذان ويتغير الكل مظهرا رويدا رويدا حسب التأثيرات الكلية والجزئية الأرضية والجوية التي تؤثرها ارضنا على موجوداتها واجزائها او حسب التاثيرات والعوامل التي تتأثر بها ارضنا من العوالم والأفلاك والكائنات الاخرى كما نراه ونشعر به من تأثير الشمس والقمر مثلا علينا وعلى ارضنا وعلى ما فيها وما عليها وما الجاذبية سوى تأثير تجانس

العناصر بعضها على بعض ليلتحق كل عنصر بعنصره والغلبة للأقوى ترمي قطعة خشب من علو وهي بشكلها هذا عنصرها الترابي الغالب فتقع مجذوبة على الارض ولكن اذا حللت بالحرق فالهواء الذي فيها يذهب مع الهواء وماؤها يتبخر والنار التي فيها تلتحق بعنصرها حتى ان ترابها الذي هو الرماد يضيع من مناعته النسبية امام بقية العناصر فيتغلب الريح عليه فيجذبه اليه ويطير معه وعلى هذا اقول لكم ان لاشيء يخلق نفسه ولا شيء يفنى بل ان الكل موجود والكل باق غير ان المظاهر تتحول وتختلف وتتغير

لقد قال الكتاب لا شيء جديد تحت الشمس لأن التحول عام شامل قصرت مدته أو طالت قالوا أن التاريخ يعيد نفسه بما يختص بالحوادث وأنا أقول لكم أيضاً أن الطبيعة أصل الحوادث تعيد أيضاً نفسها لأن سننها واحدة في الممالك الثلاث كما أن أصلها واحد فما هو حاصل الآن على كرتنا الأرضية حصل قبل ذلك ما يشابهه في القمر أو في الاجرام التي سبقت الأرض في تكوينها وصلاحيتها للحياة النباتية والحيوانية كما أن حالتها الآن سوف تتبدّل

وبما فيها وبما عليها الى شكل أو أشكال أخرى بما سيطرأ عليها من عوامل التأثير نعم هذا لا بد له من زمن ولكن الزمن ليس موجودا في الطبيعة أي في الأصل لأن الأصل أبدي أزلي سرمدي والزمن هو فقط للزائل المحدود يختلف قلة أو كثرة حسب قلة أو كثرة الشيء ومناعته الوحدانية وسوف يأتي زمن تكون فيه أرضنا في حالتها كما هي الحال الآن فيما سبقها من الأجرام نسبيا

وصل الجميع الى حيث المقعد الخشبي موضع الاجتماع فصمت الشيخ وجلس الجميع بجانبه وبقي هنيهة صامتا ناظرا أمامه كأنه يستوحي الوجود ثم عادو الكلام قائلا إنكم لو نظرتم بأنعام وتفكر الى ما شاهدتموه الآن يجري في الجنينة حيث مررتم والتقينا تجلت لكم أسرار وسنن الطبيعة بأجمعها فيمكنكم تطبيقه على ما سبق فشرحته لكم وعلى ما سوف تسمعون : لقد رأيتم الطيور تنقد الديدان من الارض لتقتات بها والناس تنظر اليها فكأنها عرفت أن الانسان يحميها ويعاونها على عملها هذا واذا تسألنا عن سبب سكوت الانسان أجانبا الواقع بأن الديدان التي

تلتقطها هذه الطيور هي مما يزاحمه على زرعه فرأى في هذه الطيور عونا له على التخلص من مزاحم حال كونه في ظروف أخرى نراه ينقض على تلك الطيور فيقتنصها ويقتات بلحمها ويدثر بريشها ويتزين به فهذا المظهر يمثل الحياة الحيوانية وهو يعم جميع أجناسها من الميكروب الصغير الذي لا يرى الا بالمنظار الى الفيل العظيم ومن الدودة التي ليس فيها من الروح سوى الروح المحركة الى الانسان ذي الروح الراقية المخترعة فما هو الفرق يا ترى بين هذه الطيور تحط فتلتقط تلك الديدان فتقتات بها وبين الانسان يصطاد الاسماك ويقتنص الغزال ويرمي الطير بنباله ورصاصه ويذبح الغنم والبقر والماعز ليأكل لحمها ويستعمل بقيتها في منافعه ؟ ما الفرق يا ترى بين هذه الديدان وهذه الطيور وبين الطيور بعضها مع بعض فينقض الباشق فيأكل العصفور وبين الحيوانات أيضاً بعضها مع بعض فيهجم الذئب على الغنم والأسد على البقر والثعلب على الفرخة فيقتات هذا من ذاك وذاك من هذا ما الفرق يا ترى بين الانسان يطارد الوحش فيقتله ويظفر الوحش به فيأكله لا بل ما الفرق

بين الحيوانات تأكل بعضها بعضا وبين الانسان في قبائله المتوحشة يأكل أيضاً بعضه بعضاً ما الفرق أيضاً بين الانسان يأكل لحم بعضه كما كان قديما وكما هو الآن باقياً ليومنا هذا في بعض القبائل المدعاة غير المتمدينة وبين الانسان الحالي الراقي المتمدين يفتك بعضه ببعض بما يسعره بينه من الحروب الطاحنة ويستعبد قوية ضعيفه منمقا لذلك ما يحلو له من الالفاظ من استعمار أو حماية أو رقابة وانتداب أليس أصل هذه الاعمال واحد؟ إن الطبيعة واحدة في الانسان والحيوان في جميع أجناسهما وما التمدن سوى طلاء يغطي مظاهرها ويختلف كثافة باختلاف درجة الفرد أو المجموع في التعليم أو التقليد أو الاخلاق المكتسبة والرقي يدوم هذا الطلاء طالما لا يمس الاصل حتى اذا ماس هذا ثار ثائر ونفض عنه ذلك الغبار المغشي وتجلى بحقيقة طبيعته فلا تغتروا يا أولادي بالمظاهر فان الطبع غالب والتطبع مغلوب فتبسم فريد وقال لقد صدق شيخنا وقد ذكرني هذا البيان بقصة قرأتها أخيراً: قيل أن ملكان من الملوك كان له وزير حازم مجرب فكان يصدر عن رأيه ويتعرف اليمن في مشورته

ثم أنه هلك ذلك الملك وقام بعده أبنه فعجب بنفسه واستبد برأيه فقيل له أن اباك كان لا يقطع امرا دونه فقال كان أبي يغلط في ذلك ولكن سأمتحنه بنفسي فارسل اليه وقال ايهما اغلب على الرجل الطبع أو التطبع فقال له الوزير الطبيعة أغلب لانها أصل والتطبع فرع فدعا بسفرته فلما وضعت اقبلت سنانير بايديها الشمع فوقفت حول السفرة فقال الملك للوزير اعتبر خطاك وضعف مذهبك متى كان ابو هذه السنانير شماعاً فسكت عنه الوزير وقال امهلني في الجواب الى الليلة المقبلة فقال ذلك لك فخرج الوزير فدعا بغلام له فقال التمس لي فأرة واربطها بخيط وجئني بها فاتاه بها الغلام فعقد الخيط في زر ثوبه وطرح الفأرة في كمه ثم راح من الغد الى الملك فلما حضرت سفرته اقبلت السنانير بالشمع كالعادة فاخرج الوزير الفأرة من كمه ثم القاها اليها فتسابقت السنانير اليها ورمت بالشمع حتى كاد البيت يضطرم ناراً فقال الوزير كيف رأيت غلبة الطبع على التطبع ورجوع الفرع الى اصله فقال الملك صدقت فقال له الشيخ بارك الله فيك يا فريد هذه أيضاً حكاية تفهمكم أن لا فرق

بين هذه السنانير حملة الشموع على مائدة الطعام وبين الشعوب الانسانية في مقرراتها على مائدة السياسة فكم أبرمت من مواثيق ووقفت حينا بموجبها ووقفة زينت بها المظهر الانساني الراقي ولكنها تحولت عنها حالما ظهرت لها فأرة المنافع فأحرقت وخربت وقتلت وشنعت ولم تبالي بما سنته من الشرائع وبما وضعته من القوانين وبما حللته وبما حرمته وبما أدعت نزوله وحيا بل سارت في طريقها لا تبقي ولا تذر ولم تقف الا عندما صدمها حائل تقوى عليها فلم تستطيع اقتحامه فسكن ثائرها مغلوبة من القوة المصادمة الطبيعية ولم تكن من قبل لتوقفها العوائق التطبيعية فاني قد قلت لكم وأعيد القول بأن الغلبة فقط للقوة ولو اختلفت مظاهر القوة لأن القوة هي الطبيعة وهي أصل التأثير ولهذا فقد جاء بالكتاب الكريم من له يعطى ويزاد ومن ليس له يؤخذ منه ماله لان الضعيف من الكائنات يجذبه الاقوى اليه فيضمه بطرق شتى ويحوله الى مظهره تبعا لسنة التأثير ويبقي المظهر الجديد شاملا الى أن يتحول الى مظهر آخر لان العوامل المكونة بقوة

حركتها الدائمة هي نفسها المحولة وهكذا الى ما لا نهاية له

انظروا يا أولادي الى هذه العناكب والى شباكها التي تحيطها على هذه الشجرة فوقنا من نسيجها لتصيد بها الذباب قوتها اليست هي مثل هذه الشباك التي بيد هذا الصياد أمامنا يلقيها في الماء يصيد بها الاسماك أوليست هي أيضاً مثل تلك الشباك الشائكة التي يصنعها الانسان في في حروبه الان ليمنع بها أعداءه من الدنو اليه

ترك الناس تلك الطيور تنقد تلك الديدان لأن الديدان تضر بزرعهم ولكن لو كانت سقطت تفاحة أو ثمرة مما يطيب لهم أكلها فهل كانوا يتركونها لتلك الطيور أو يتركون الطيور تقربها ؟ كلا ثم كلا ولكن تلك الديدان نفسها سوف تفتات بدورها من تلك الطيور ومن الانسان أيضا الذي لم يدافع عنها طبقا لسنة التبادل فالسامي يثأر لنفسه من الايجابي والايجابي يثأر لنفسه من السامي. يتوالد الحيوان بمجامعة ذكره لانثاه لا فرق في ذلك بين طير السماء وسمك البحار ووحش البر وكل ذى نسمة حية كما يجري بين الرجل والمرأة لافرق في الاصل البته بين هذا وذاك فالذكر الزارع والانثى الارض

المنبتة وهو بالنسبة اليها يمثل العنصر السلبي وهي بالنسبة اليه تمثل العنصر الايجابي وباجتماعهما يظهر في الوجود آخر بشكله المعلوم وهو في الوجود من قبل ومن بعد فيسير سيره تتجاذبه العوامل الاخرى من بقية الكائنات تحت نظام التأثير والاخذ والعطاء فيأخذ منها ويعطيها ويتأثر بها وتتأثر به الى أن يتبدل ذلك الشكل ليأتي شكل آخر وهكذا الى ما لا نهاية له

هذا فيما يختص بالمملكة الحيوانية وهو عين النظام الذي يتمشى عليه النبات والجماد لقد شاهدتم البستانيين يقتلع بعضهم الاعشاب من بين الزهور ليبعد عنها مزاحما يمتص من خواص الارض مالو بقي لها وحدها لامتصته هي فنمت وتقوت وأتت بمحصول كثير أخليت الارض لتلك الظهور فنمت وأزهرت كثيراً ولكنها في سيرها هذا لم تخرج عن سنة التأثير والتبادل خلصها الانسان من مزاحم فامتصت قوته فازدادت نموا وأخذ الانسان من زهورها مقابل تعبه لها تأثرت قوتها بما امتصته من المواد المنمية فنمت بزيادة ستدفعها من ضعفها في السنين المقبلة

اذا لم يتداركها عامل غير اعتيادي يمنع ذلك الضعف ليثبت توازن ذلك النمو لأن من قاوم الطبيعة صرعته الطبيعة لأنها هي الأصل وهي المتبوع وكل شيء لها ولأحكامها تابع فمن خالف سننها ولم يماشها لا يطول أمده وهذا سر ما رأيتموه من فعل البعض الآخر من البستانيين اذ كان بعضهم منهمكا في تسميد الأرض وبعضهم في نقل النبات من مكان الى آخر وفي حرث بعض قطع من الأرض وري بعضها فعملهم هذا هو ذلك العامل الغير الاعتيادي الذى لولاه لوقف ذلك النمو وتحولت قوته الى ضعف وهو عمل تساوى فيه النبات والجماد فلو لم ينقل النبات من مكانه الى مكان أصلح به من الخواص المنمية ما ليس يوجد في مكانه حيث كان لما نما وترعرع . ولو لم تسمد الأرض وتحرث وتروى لأعطاها من الخواص عوض التي فقدتها باجهادها بالزرع لما كانت أخصبت وهكذا فهي أعطت وأخذت وأخذ النبات فأعطى وأعطى الانسان فأخذ وبهذا عمت هذه السنة الممالك الثلاث . أجابت فريدة وقالت ولكن لو لم تسمد الأرض وتروى وتحرث لكانت أيضا أنمت تلك النباتات

فازهرت زهورها فجناها الانسان دون تعب أجابها الشيخ وقال اعلمي يابنيتي أن ذلك الأنماء كان يكون في هذه الحالة نسبيا على قدر ما كان بقى في الأرض من المواد المخصبة وما تكون أخذته في تلك الفترة طبيعيا عاديا لأن ذلك العامل الغير عادي الذى به استغلت الأرض فانمت النباتات بحب حتى يبقى ذلك الخصب وذلك النمو محفوظا ان يقابل بعامل غير عادي أيضا وفي هذا يتساوى أيضا الحيوان بجميع أجناسه فالانسان او الطير أو الوحش أو السمك الذى ينمو انمواً مفتعلا لابد ان يعقب نموه هذا رد فعل يظهر بتوقف ذلك النمو أو بانحطاطه اذا لم يدعم بعامل مفتعل آخر خذى يابنيتي نفسك مثلا ولنقل أن قواك تمكنك من الذهاب مشيا من البيت الى الاهرام مرة في اليوم ولكنك اذا اجهدت نفسك وذهبت مرتين فهل يمكنك في اليوم الثاني أن تذهبي كما كنت تذهبين من قبل دون ان تعوضي ذلك الاجهاد أما براحة أزيد من قبل أو بأكل أكثر تغذية من قبل أو بتناول اي مقو يعيد لك قواك التي فقدتها بذلك الاجهاد ؟ اقول لك كلا فانك ان لم تستعيضي

عن المرة الزائدة بأي عامل آخر فأنك لا يمكنك الذهاب في ذلك اليوم كما كنت تذهبين من قبل كما هي الحال مع تلك الأرض وتلك الزهور لأن السنة واحدة فكما أن الجمل اذا حملته فوق طاقته رزح تحت الحمل كذلك قطعة الحديد أو الخشب تنكسر أو تلتوي اذا لم تدعم وتتقو

تشاهدون بين الحيوان أن هذا الصنف الذي يعيش في تلك البقعه او في تلك القارة هو أقوى او اضعف من ذاك الذي يعيش في غيرها كما انكم ترون هذا أيضاً بعينه بين النبات وبين الجماد فكم نسمع البائع يقول بسوسي يا شمام بلدي يابرتقال حتى يظهر افضلية مامعه على غيره وكم نلاحظ ان سكان الجبال هم أقوى بنية من سكان السهول مثلا وسكان الارياف هم أقوى واصح جسما من سكان المدن وان هذا الصنف من الحديد او الفولاذ او الفضه والذهب أو اي معدن آخر يختلف باختلاف البقعة التي استخرج منها أفليس هذا كله منشأه سنة التأثير التي تعم المالك الثلاث ؟

فقال نجيب لقد حل لي الشيخ بما ابانه الآن عقدة طالما حاولت حلها فلم اتوفق لما كان يعترضني من المتناقضات

اذ كنت عند ما أتعب من البحث فيها بلا جدوى مقتنعة أنسبها الى عمل سماوي لغاية مجهولة

لقد قال الكتاب الكريم أن الاسرائيليين عند خروجهم من مصر وعلى رأسهم موسى الكليم ذلك الرجل العظيم الذي أخذ العلم والحكمة على كهنة مصر ففاقهم جميعاً وأتى بمعجزات أذرت بجميع ماعملوا قد تاهوا في برية سيناء أربعين سنة وفي موضع آخر يقول الكتاب ان موسى هرب بعد قتله المصري الى تلك البقعة نفسها فعاش فيها العشرين سنة ومنها تزوج فعرفها طبعاً وعرف كل مجاهلها فهل يعقل يا ترى أن رجلا مثل هذا وقد تصدى لخلاص قومه من رق العبودية وقاد ذلك الشعب بأكمله رجالا ونساءا شيوخاً وأطفالا يأتي الى ذلك المكان فيتيه فيه ولا يعود يعرف منه له مخرجاً طول هذه السنين ؟ أمام هذا كنت أقف حائراً لا أجد لهذه العقدة حلا موفقاً معقولا فكان فكري أمامها يصبح تيهاً يتيه فيه عقلي أما الآن فأرى أن موسى وقد كان توفق لتنفيذ الشطر الاول من خطته وعرف كيف يجتاز بقومه في ساعة جزر في بحر القلزم في مكان

يعرفه حق المعرفة ثم يفري عدوه باللحاق به فيدركه المد فيسد عليه السبل فيفرق بخيله ورجله عرف أيضاً أن ذلك الشعب الذي خرج به من مصر حيث كان مستعبداً قروناً طويلة سيم فيها الذل والمسكنة فأفقده الاضطهاد والاحتقار مناعته وذاته المعنوية وكل مزية طيبة فتأثرت قواه بذلك تأثيراً توارثه أباعن جد فتأصل في جسمه ونفسه وضاعت معه كل همة وعزة نفس واقدام لا يصلح في حالته الراهنة لمصادمة وقتال شعوب قوية شديدة المراس منيعة الجانب ريبت في الحرية فاضطر الى تأخير تنفيذ الشطر الثاني من تلك الخطة المدبرة بأحكام عظيم يليق بذلك العقل الذي أبرز أمتن وأحق شريعة عرفت حتى قال عن ناموسه السيد المسيح ان السماء والارض تزولان وحرف من الناموس لا يزول فعمد الى حيلته هذه فأضاعهم حيث قادهم وأبقاهم تلك السنين ليعوض عليهم في حياة البرية الحرة ما أضاعوه في عيشة الذل والهوان والاستعباد ليقوم مقام هذا الجيل الخامل الضعيف جيل جديد همام قوي يصلح للقتال والمقاومة والغزو يستولي به على ما كان يطلب

من البلاد فيخضع به شعوبها ويطردها منها فيحل محلها فيها كما حدث وتحقق فنظر اليه الشيخ وقال صدقت يابني باستنتاجك هذا لأن ذلك الشعب كان في حالته مثل تلك الارض المجهرة التي لا تصلح للزرع قبل أن تستعيض ما فقدته من الخواص ومثل ذلك الضعيف الذى اناخه التعب فلم يعد قادراً على متابعة السير قبل استرجاع قواه ولا غرو اذا كان موسى عرف ذلك لان بعض الحقيقة كان معروفاً لديه ولدى اساطين ذلك العصر

فما تقدم يظهر لكم أن السنتين الاصليتين الجامعتين الخاضع لهما جميع مافي الكون هما سنة التبادل أو التوازن وسنة التأثير ومنهما تفرعت جميع بقية السنن وعليهما بنيت جميع الشرائع والتحليلات والتحريمات ولا غرو فهما في الاصل مظهر الينبوع العظيم الاصيل الفرد فهما السلبي والايجابي يبدوان بفروعهما التي لا عد لها ولا حصر باشكال ومظاهر مختلفة حتى يتعذر على الناظر اليها معرفة حقيقتها فيظنها أنها متعددة الاصول كما هي متعددة المظاهر والفروع ولكن المتعمق في البحث تقل لديه الاصول على قدر ما يقترب من الحقيقة

ويزداد التجانس على قدر التقارب حتى ينحصر في أثنين فقط فيما يختص بالمادة

أفليس مظهر الذكر والانثى الكبير والصغير الحلو والمر الرخص والصلب السائل والجامد البرد والحر الظلام والنور الاسود والابيض يمثل السلبي والايجابي ؟

انظروا الى تنوع النبات واختلاف أجناس الحيوان وتنوع أصناف الجماد وكثرة معادنه وكيف أن كل نوع أو جنس يقاوم الآخر أو يتحد معه أو ينفصل عنه على قدر كثرة أو قلة التجانس بين الاثنين . فان الفضة تتحد مع الذهب حتى كأن الاثنين جسم واحد ولكنها لا يمكنها الاتحاد بهذه الصورة مع الخشب مثلا . واذا صب الرصاص مع النحاس لا يتحد معه كما لو صب الرصاص مع الفضة وهكذا أيضا في النبات فاذا تطعم النخيل بالبرتقال مثلا لا يعيش ويثمر أما اذا تطعم البرتقال بشجر آخر اكثر تجانسا معه اتحد وعاش واثمر وما نراه في الجماد والنبات نراه ايضا في الحيوان فأن الحمار اذا جامع البقرة فهذه لا تحمل ولا تلد أما اذا جامع الحصان الآتان حملت وولدت واذا جامع

الانسان ناقة أو شاة لا تحبل ولكن الفرد اذا جامع امرأة لربما حملت وولدت واذا جامع الحيوان الطير فان هذه لا تبيض فتفرخ أما اذا جامع ذكر الحمام انثى طير من فصيلته باضت وفرخت

لقد قلت لكم فيما سبق أن العوامل المكونة أو المساعدة على التكوين هي نفسها المحولة أو المساعدة على التحويل يتساوى أمام ذلك الحيوان والنبات والجماد فيسير الكل سيره حسب سنتي التأثير والتبادل . يولد الحيوان من بطن أمه صغيراً ضعيفاً فيقوى بالغذاء والهواء والنور والحرارة والماء حتى يصل الى درجة معلومة من القوى ثم يرجع القهقري حتى يضعف ويشيخ ويحل به العجز . فيموت هذا اذا لم يصادمه طارئ لم يقو على مكافحته والتغلب عليه فيموت ويتحلل قبل أوانه وينبت النبات فيسير على الطريقة نفسها فيزهو وينمو ويثمر ثم يضعف فيذبل ويبس ويضمحل . ويتكون الجماد بجميع معادنه ويسير خاضعاً لذلك الناموس فيتغير ويتبدل ويتحول حسب ما ينضم اليه أو ينفصل عنه من المواد والعناصر الاخرى وهكذا دواليك في جميع

الكائنات لان العناصر الاربعة المتولدة من العنصر الاصيل الفرد المكونة هي نفسها المحولة حسب تأثيراتها بعضها على بعض أن رأساً أو بما تفرع عنها ألا ترون أنه اذا زادت الحرارة فى جسم حيوان عن المعتاد أو قلت عنه مات ذلك الحيوان أو مرض واذا عرض جسم آخر لأي من العناصر أكثر مما يلزم أضر به هذا التعريض وأثربه إن قليلا أو كثيراً على نسبة مناعته لأن الاشكال جميعها فى مظاهر الممالك الثلاث تكونت على نسبة معلومة من كميات معلومة فيما بينها فاذا زادت كمية عن نسبتها أو نقصت ابتدأ التحول والتغير بالشكل .

فأي فرق في الحقيقة بين الصدأ الذي يغشى الحديد اذا لحقت هذا الرطوبة وبين الزكام الذى تسببه الرطوبة لكم فان الاول لايزول الا اذا جلي الحديد والثاني لايزول الا اذا قاومتموه بالمسخنات أفلا ترون أيضاً أن النبات اذا روي بكثرة عما يلزمه أو اذا عطش أضربه ذلك الرى وذلك الظمأ وأن الحيوان اذا شرب أكثر مما يلزمه أو اذا ظمىء ظمأ شديداً أضربه ذلك الشرب وذلك الظمأ كل على

قدر نسبته

قال هذا وهم بالقيام غير ان فريداً استوقفه بقوله له ليسمح لنا شيخنا بسؤال عن أمر يشغل بال بعض علماء هذا العصر ويثير أهتمام الناس وهو أمكان وجود الحياة في بعض العوالم الأخرى مثل المريخ مثلا وهل في الامكان اذا وجدت التوصل للتخابر معها أو التوصل الى الوصول منا اليها أو منها الينا فأجابه الشيخ قائلا أني الآن تعب تلزمني بعض الراحة وأرى أن الوقت قد حان فموعد الاجابة على سؤالك هذا غداً أن كان في العمر بقية فأنعموا أذاً مساء يا أودي .

قال هذا وقام وصافحهم فتقدمت منه فريدة وبيدها صندوق صغير به بعض المآكل وشيء من الحلوى وصرة بها قليل من الدراهم وقدمته له راجية قبوله فتناول تقدمتها شاكرا ممتنا وصافحها ثانية وابتعد